إلى عراك الحياة من حولي، وأصادف شخصيات، ربما كتبتها أو كتبت شبيهاً لها. أقضي العطلة في أغلبها، أقارن بين ما كتب وما يمكن أن يكتب، وربما أطالع شيئاً من إنتاج زملاء يعيشون في الوطن، وأبحث داخله عن الإدهاش.

وحين أعود إلى مغتربي، أحس بأنني أملك كنوزاً من الحكايات والشخصيات، وبدافع الحنين أيضاً، أكتبها، وتبدو لي قصتي مع عسكري المرور عبد الله كوة، الذي حرر لي مخالفة لدخولي في طريق ذي اتجاه واحد، لا أعرفه، أو الفتاة التي تعمل ضابطاً في إدارة الجوازات، وتابعتها سنوات، منذ كانت فظة وتغيرت بعد زواجها، أو مشاهدتي للرجل الذي كان يصيح ويمزق ثيابه في وسط مستشفى الخرطوم؛ قصصاً مدهشة، أضيف إليها شيئاً من الخيال، بالرغم من أنها قصص عادية، تتكرر باستمرار.

وما زال يأسرني وصف ماركيز للحنين الذي يملك أحاييل، لا يمكن الفكاك منها، في روايته الحب في زمن الكوليرا، حين تحدث عن الطبيب الذي عاد إلى بلاده بقناعة تامة، تاركاً حياة مرفهة في أوروبا، ليفاجأ في الميناء حين رست الباخرة، بالحر والرطوبة، ومنظر الذباب على أنوف الأطفال، والنساء المتسخات في زينة رخيصة، وهن يرضعن أطفالهن بأثداء ضامرة، ثم ليعود إلى وعيه في تلك اللحظة، ويلعن الحنين وأحاييله.

في الكتابة العربية توجد تجارب كثيرة، للكتابة المغتربة التي تعتمد على الذاكرة والحنين، منها تجربة عبد الرحمن منيف، وتجربة الروائي الليبي إبراهيم الكوني، تلك التجربة الكبيرة المتسعة المدهشة، التي صاغ في داخلها عشرات الكتب، ولم تكن في معظمها عن أحداث خارج الوطن، بينما هو في الحقيقة، يقيم خارج الوطن منذ زمن طويل.

تلك الأساطير الغنية وذلك الموروث الصحراوي المدفون، والذي في اعتقادي لم ينبشه الذين بالداخل كما نبشه، ولم يظهره للعالم أحد مثله، ولن يعيد –حتى الذين ما زالوا يعيشون في الصحراء– إنتاجه كما فعل.

فكتابات مثل الورم والمجوس وخريف الدرويش، وغيرها العشرات من الروايات والسير والحكم، إنما هي حصيلة لحنين جارف إلى تلك العوالم الماضية، تدفع للكتابة عنها بلا خيار آخر، وتدعمه الذاكرة المبدعة التي لا يسقط من جرابها خبر، ولا تتسرب من شقوقها قطرة مطر واحدة هطلت ذات يوم في صحراء جافة، أو عثرة لبعير احتك بحجر.

وأظن بأن تجربة الكوني، بقدر ما أدهشت قراءه العرب والغربيين بعد أن ترجمت أعماله، يمكن أيضاً أن تدهش قراء الداخل، أو سكان العوالم التي صاغها، حين يجدون ما لم ينتبهوا إليه، قد انتبه إليه مبدع مغترب عن الوطن، والذي قد لا يمثل قيمة كبيرة لديهم، قد أصبح ذا قيمة عالية.

منذ عدة أشهر، وأثناء وجودي في السودان، سألتني قارئة عن تفاصيل كثيرة كتبتها في سيرة لي اسمها مرايا ساحلية.

قالت إنها تمر يومياً بواحدة شبيهة بحمدة البيضاء، تلك المتسولة التي كتبتها، ويسكن بجوارهم، في بيت مهجور، مشرد مثل عزيزو لا يعرف أحد أصله، يقرأ الكتب باستمرار، ويلقي الشعر بلا مستمعين له، لكنها لم تكن تظن أبداً، أن تلك شخصيات تصلح لكتابتها في نصوص، وانتبهت لها حين كتبت.

بالطبع ليس لي جواب آخر، سوى ما أكدته، وأكده ماركيز، وآخرون، عن سطوة الحنين، ودعم الذاكرة لدرجة إرهاقها. كل ما يكتب بدافع الحنين، يترك أثراً، خاصة السير، لأن الحنين داخلها ومن حولها، يكون في أوج اشتعاله.

ثقافة الأجيال

أحمد صالح الصمعاني

أحمد الصمعاني

قبل عقدين من الزمن جرت العادة بوقوف الشباب أمام الأسواق التجارية لقراءة الصحف والمجلات سواء كانت رياضية أو إخبارية أو غيرها، فهذه طريقة تقليدية يلامسها جزء من التعب للحصول على المعلومة، ولا سيما أن الأخبار كانت تتأخر لليوم التالي في الصحف الورقية ليصل الخبر، وكانت الصحيفة والتلفاز هما مصادر الأخبار والثقافة بشكل عام، وفي مطلع 2002 تقريباً توسعة الشبكة العنكبوتية في الصفحات الرقمية وبدأت المصادر تتوفر في إيصال المعلومات والأخبار بشكل سريع وخاصة في عام –2007 2008 حتى الآن تمكنت هذه الشبكة من تداول الخبر والمعلومة حيث أنها تَنتشر خِلال لحظات، بالإضافة إلى أن مصادر المعلُومات أصبحت واسعة ومتخصصة كالمواقع العلمية والموسوعات الالكترونية، تمكنت التقنية من توظيف المعرفة واستغلالها بشكل جيد في تحضير جميع الأعمال التجارية والعلمية والخيرية وغيرها، فكما عُرفت بالموجة الثالثة التي يعيشه الإنسان حالياً، يروي الدكتور ميسرة طاهر خبير (علم النفس) معاناته في بدايته الإعلامية قبل 20 سنة تقريباً في إذاعة القران الكريم حيث أن أعداد الحلقة يستغرق عدت أيام في البحث بالكتب والمصادر وصعوبة انتقاء المواضيع وغيره، فهذا الجيل أدرك أن المعرفة والثقافة الالكتروني قامت بنقلة رائعة، حيث أن البحث عن معلومة أصبح في متناول الأيدي بالإضافة إلى سهولة استخدامه وقد يستغرق البحث عن المعلومة أجزاء من الدقائق، ومن الإيجابيات في العلم الجديد أن المعلومة هي التي تصل إلى الجهاز المحمول مثل برامج التواصل الاجتماعي وليست بحاجة إلى البحث وبدون رسوم مادية للخدمة فقط لتكلفة الانترنت، وهذه نقطة عالجت مشاكل الروتين والملل فكما هو حال البعض الآن يقضي ساعات في استخدام جهاز الجوال دون شعوره بالوقت، فهذه فرص ثمينة لكي يقوم المرء بتطوير ثقافته عن طريق الأجهزة الصغيرة المحمولة وبفضل الله يوجد شريحة كبيرة من المجتمع تمكن من استغلال برامج النشر والتواصل الاجتماعي بالرسائل والمعلومات الإيجابية مثل النصائح التربوية والإسلامية وغيرة، ولا يخفى عليك عزيز القارئ أن الثقافة كانت شبه محصورة على الصحيفة اليومية التقليدية أو التلفاز فقط، لكن الساحة الالكتروني سيطر على العلم بشكل كبير حتى أصبح له علمه الخاص وكُتب وموسوعات مثل كتاب (الثقافة الالكترونية) للدكتور جورج نوبار سيمونيان، فالثقافة صنعت لها عدت أبواب وعدت ثقافات مثل الثقافة الإسلامية والرياضية بل أنه تم ابتكار ثقافات غير أخلاقية.

رواية (1984)

للكاتب جورج أورويل

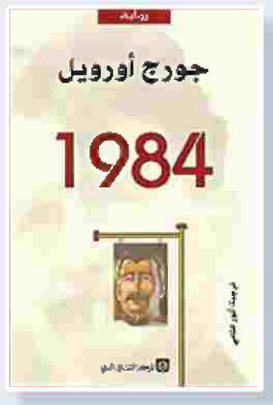

قد تعني العودة إلى كتابات جورج أورويل (1903–1950) في هذه الحقبة التاريخية التي شهدت انهيار الاتحاد السوفياتي، ليس فقط تحقق «نبوءات» هذا الكاتب السياسي الذي جمع حرفة الأدب إلى حرفة السياسة في رواياته الكبرى (جمهورية الحيوانات) و1984: وإنما تحقق انهيار المنظومة الهيغلية –اليسارية بشقها الماركسي– اللينيني– الستاليني، القائمة على منطق الديالكتيك الحتمي والغائي والشمولي، والمرتكزة على منهج التضاد وصراع الأضداد، والتطابق، والنفي والسلب. ولد جورج أورويل (وهو الاسم المستعار لإريك بلير) في الهند العام 1903 من أبوين إنكليزيين، في عصر الاستعمار الإنكليزي للقارة الهندية، وكان جدّه ضابطاً في الجيش الإنكليزي في الهند، وأبوه موظفاً من موظفي (الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس)، ولعل هذه النشأة بالمستعمرة الإنكليزية الكبرى (الهند) قد دمغت شخصية جورج أورويل ووسمته بميسمها فانخرط منذ باكورة حياته في الاتجاه الاشتراكي الراديكالي المعادي للاستعمار وحمل جورج أورويل السلاح في (الثورة الإسبانية) ضد الفاشية مثلما حمله أندريه مارلو، وأرنست همينغواي، وهو كان يقاتل، ويجرح، ويجمع في تجربته الشخصية بين الفكر والتمرس العملي (الممارسة) في مقاومة (الفاشية) التي تحفزه فيما بعد على حمل القلم ليكمل بالحبر الأسود ما بدأه بالحبر (الأحمر)، بدمه، في نقد الدكتاتوريات بأشكالها المتعددة (اليسارية جنباً إلى جنب مع نقده للديكتاتورية اليمينية الأخرى). وكان جورج أورويل لا يرى ثمة فرق ما بين روح الاشتراكية والحرية، وقد أراد في روايته (جمهورية الحيوان) أن يبرهن بأن المساواة ليست متنافية بالضرورة مع الحرية، بل على العكس. وقد ربط أورويل بين نقد الاستبداد، ومعاداة الاستعمار والعنصرية، والدعوة إلى رفض الرقابة الدولوية على المجتمع، وبين الأخوة الإنسانية والفردية والمساواتية بين البشر، وحب الوطن. وقد أكد أورويل على فضيلة الوطنية، ببعدها الإنساني والأممي، مع رفضه في الوقت عينه للكوزموبوليتية السطحية، في نظرته العالمية، جامعاً بذلك –على الطريقة اليونانية– الرومانية– ما بين الثقافة والمواطنة. يجد البعض في رواية (1984) نبوءة لأحداث 1989 (انهيار جدار برلين وانفراط الاتحاد السوفياتي) لجهة نقده للشمولية التوتاليتارية. ويرى البعض الآخر فيها وصية للكاتب كتبها في أواخر حياته، ونشرت بعد موته (1948)، وسواء اعتمدنا هذا الرأي أو ذاك فمن المؤكد، وهذا هو أصل المقال وفصله، أو أورويل هو المؤسس للنقدية الاشتراكية الديموقراطية، التي تجد جذورها في ديموقراطية كلاسيكية ترى بأن جوهر الديموقراطية في الحرية بوصفها فضيلة من الفضائل الجمهورية. نبذة الناشر: على مدى سنوات طويلة، ظلت رواية (1984) لجورج أورويل تستعاد، يعود إليها الكتاب الذين يتحدثون عن الديكتاتورية والأنظمة الشمولية. وعلى مدى سنوات طويلة، ظلت هذه الرواية حية وتقرأ بسبب جماليتها الأدبية وبسبب الصورة السياسية التي قدمتها. اليوم، وفي ترجمة جديدة، نقدم هذه الرواية التي صورت بطريقة تنبؤية، مجتمعاً شمولياً يخضع لديكتاتورية فئة تحكم باسم (الأخ الكبير) الذي يمثل الحزب الحاكم، ويبني سلطته على القمع والتعذيب وتزوير الوقائع والتاريخ، باسم الدفاع عن الوطن والبروليتاريا. حزب يحصي على الناس أنفاسهم ويحول العلاقات الإنسانية والحب والزواج والعمل والأسرة إلى علاقات مراقبة تجرد الناس من أي تفرد وتخضعهم لنظام واحد، لا ينطبق على مسؤولي الحزب. إنها رواية تقرأ، ثم تقرأ من جديد.

(المستكشف هاري سانت جون فيلبي ورحلته إلى حضرموت): كتاب مثير وخطير)

الدكتور مسعود عمشوش

(المستكشف هاري سانت جون فيلبي ورحلته إلى حضرموت)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 2012) أختار الدكتور مسعود عمشوش أن يتناول موضوعاً مهماً وحيوياً، ورغم ذلك لم يسبق أن تجرأ أحد وتناوله، إلى درجة أنه يكاد أن يدخل في باب المحرمات: ما حقيقة الدور الذي قام به المستكشف البريطاني هاري سانت جون فيلبي في تحديد ملامح وحدود الجزيرة العربية بعد رحيل الأتراك منها، وطبيعة العلاقات بين الدول التي نشأت فيها بعد الحرب العالمية الأولى، وعلى وجه الخصوص بين تلك التي تقع في شمال الجزيرة وغربها وبين تلك التي تشكل بواباتها الجنوبية؟؟

في هذا الكتاب المثير والخطير، الذي يجمع فيه مؤلفه بين دقة منهج الباحث وجمال لغة الأديب، تبرز أمامنا الأبعاد المتعددة لشخصية هاري سانت جون فيلبي، أو كما يسميه العرب: الحاج عبد الله فيلبي. فهو سياسي ورجل استخبارات بارع، ومستكشف رائد، وتاجر ماهر. وقد كان السبب المباشر لمجيئه إلى الشرق الأوسط، في عام 1914، الإسهام في تمكين حكومته البريطانية من إحكام قبضتها على أكبر قدر من تركة الدولة العثمانية في المنطقة. وعلى الرغم من استقالته من وظيفته الحكومية سنة 1924، بسبب اختلافه الشديد مع القائمين على سياسة بريطانيا في الشرق الأوسط، الذين اتهموه حينذاك بالعمل لصالح الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، فقد أختار أن يقضي ما تبقى من عمره، أي أكثر من أربعين عاماً، في البلاد العربية.

وفي الجزء الأول الكتاب بيّن المؤلف أن الهدف الأول لمجيء فيلبي إلى الشرق الأوسط وإقامته فيه لم يكن خدمة المصالح البريطانية أو ابن سعود، بل أن يكون (أعظم مستكشفي الجزيرة العربية). لهذا السبب، عندما توفي في بيروت عام 1960، ودفن في مقبرة المسلمين هناك، كتب ابنه كيم على شاهدة قبره (أعظم مستكشفي الجزيرة العربية)، وذلك عملاً بوصيته.

فإذا كان الرحالة والمستكشفون الغربيون قد استطاعوا، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أن يزيحوا الستار عن خبايا بلاد الشام وأرض الكنانة وشمال إفريقيا، فالجزيرة العربية بمدينتيها المقدستين وربعها الخالي ظلت أرضاً محرمة. ولاشك في أن فيلبي، خلال دراسته في قسم الدراسات الشرقية، في كلية ترينيتي بجامعة كمبريدج، قد قرأ واستوعب تجارب هؤلاء الرحالة الذين سبقوه إلى البلاد العربية. ويبيّن الدكتور عمشوش في هذا الكتاب أن كثيراً من مواقفه وتصرفاته تعكس في المقام الأول سعيه إلى تجنب الأخطاء التي وقع فيها الرحالة الغربيون الذين حاولوا استكشاف الأراضي المحرمة من قبله.

وقد رصد سانت جون فيلبي رحلاته الاستكشافية إلى الجزيرة العربية في مئات المقالات والدراسات والمحاضرات، وأكثر من خمسة عشر كتاباً ضمنها عدداً كبيراً من الصور والرسومات والخرائط. وعلى الرغم من أهمية ما قام به فيلبي من رحلات استكشافية وما كتبه عن بلاد العرب فلا تزال الدراسات العربية عنه نادرة جداً. لهذا يحق للدكتور عمشوش أن يرى أن الدور الذي قام به سانت جون فيلبي في تاريخ الأقطار العربية يفوق بكثير دور لورنس أهمية وأثراً.

ويندرج الكتاب الخامس للدكتور عمشوش في إطار اهتمامه بما كتبه الرحالة الغربيون عن حضرموت واليمن وشبه الجزيرة العربية بشكل عام. وقد قام بدراسة رحلة فيلبي إلى حضرموت من خلال قراءة تحليلية لكتابه (بنات سبأ) الذي يحتوي على سردٍ لها، وكذلك الكتابين اللذين ضمنهما فيلبي سيرته الذاتية: (أيام عربية وأربعون عاماً في البرية)، وكذلك الملف الخاص بفيلبي في وثائق الاستخبارات البريطانية التي نشرها مكتب السجلات العامة والأرشيف القومي البريطاني ونشرها في نهاية عام 2002.

وقد تناول المؤلف في الفصل الأول من الكتاب سيرة سانت جون فيلبي وحاول أن يربط فيه بين المحطات الرئيسة في حياة فيلبي وبين الدافع الأول لمجيئه إلى الجزيرة العربية: الاستكشاف. وفي الفصلين الثاني والثالث قام بدارسة تحليلية لوقائع زيارة فيلبي لحضرموت، وردود فعل الحكومة البريطانية والسكان المحليين والإمام يحيى بن حميد الدين تجاه تلك الزيارة. أما الفصل الرابع فقد كرسه لدراسة الأبعاد العلمية لرحلة فيلبي إلى حضرموت، سواء أكانت جغرافية أم تاريخية أثرية أم اجتماعية. وفي الفصل الخامس تطرق للأبعاد الفنية والأيديولوجية لكتاب (بنات سبأ). وقد ضمنه أول محاولة لدراسة مقومات الأسلوب الفني الذي اتبعه عبد الله فيلبي في تدوين رحلاته، والذي يرتكز على تقنيتي السرد والوصف بالإضافة إلى الصور والرسومات والخرائط. وبما أن فيلبي قد ضمن كتابه (بنات سبأ) أبعاداً أيديولوجية واسعة فقد قام في هذا الفصل بدراسة الكيفية التي سلكها فيلبي للمزاوجة بين سرد الرحلة وخطابه الأيديولوجي السياسي.

وإذا كان بعض الغربيين وبعض العرب قد أبدوا استيائهم من الآثار السياسية التي أفرزتها زيارة فيلبي لحضرموت، ومن الصبغة الأيديولوجية التي برزت في كتاب (بنات سبأ)، فهم بالمقابل لم يترددوا في التعبير عن إعجابهم بالأبعاد العلمية لتلك الرحلة وغيرها من رحلات فيلبي الاستكشافية. فالكاتب خيري حماد، يؤكد في كتابه (عبد الله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث) «إذا كنا قد تنكرنا لفيلبي السياسي، لما مثلته سياسته في وطننا العربي من ميول استعمارية بغيضة، فعلينا أن نحني الرأس تقديراً وإعجابا بهذا الرجل الفذ الذي كانت دراساته عن الجزيرة العربية وأوضاعها وأحوالها من أنفس ما كتب عنها من أسفار وكتب في مختلف العصور واللغات». لهذا يختتم الدكتور عمشوش كتابه معترفاً بأهمية الجانب العلمي لرحلات فيلبي الاستكشافية؛ فعلى الرغم من كل سلبيات فيلبي، فإن ما أضافه من معرفة حول الجزيرة العربية لا يمكن أن يفوقه فيه أحد.

علي نسر -الحياة اللندنية

رواية زوج حذاء لعائشة للكاتبة اليمنية نبيلة الزبير

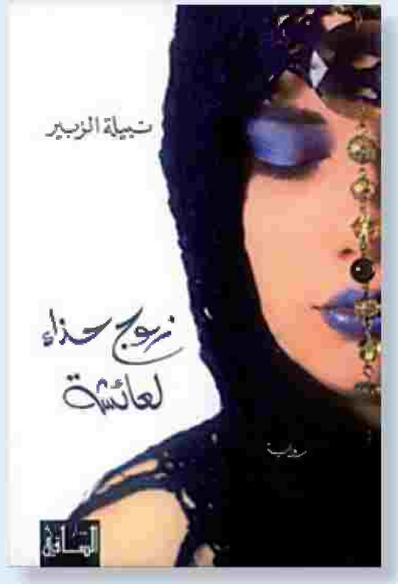

في روايتها الجديدة (زوج حذاء لعائشة) الصادر عن دار الساقي 2012 تحاول الكاتبة اليمنية نبيلة الزبير أن تكشف المستور، وتسقط الأقنعة عن وجوه كثيرة، ضاربة بعرض الحائط الموانع والحواجز التي غالباً ما تحول بين المتكلّم وما ينبغي أن يقوله. لذا، تأتي ضربتها شبه القاضية على عنق المثلّث المحظور عادة، والذي استحال آيات مقدّسة كرّستها الأعراف، وساهمت بوجودها ممارسات الحكام الذين حرّموا على غيرهم الكلام غير المتوافق وظروفهم السياسية والفكرية... إنه مثلث الدين والسياسة والجنس. فتضعنا الكاتبة وجهاً لوجه أمام واقع عربي مأسوي، متّخذة من اليمن بؤرة شكّلت أرضاً خصبة للسرد وإطلاق الرؤية السردية.. فإذا به واقع يرزح تحت نير التقاليد والعادات التي أدخلت المواطن في سراديب من الكبت على مختلف المستويات. إنه واقع يمني/ عربي مستباح للآخر، سواء كان هذا الآخر غريباً وافداً من وراء البحار، مسيطراً ومستعمراً (وإن كانت الإطلالة عليه سريعة في النص) أو الآخر المتمثل بالجائرين من أهل البيت أو البلد نفسه. وأكثر المتأذين من هذا الواقع، النساء، فراحت كل امرأة من بطلات العمل، على شاكلة (عائشة) البطلة الأساسية في الرواية، تبحث عن حذاء يقيها ويشكّل لها ستراً، بعد أن حوّلها الظلم الذكوري إلى إحدى بنات الهوى، ليتحوّل وجود الإخوة الأشداء الذين يجب أن يكونوا حماة، إلى سبب أساسي للخروج على الأسس الأخلاقية نتيجة تضييقهم وجورهم «...لا تضيع بنات لهن أخوة أشداء...غير صحيح يا أبي، الصحيح أنه لا تضيع بنات إلا إذا كان لهن أخوة أشداء» ص163.

وهكذا، تتخبّط المرأة في أرض موحلة، ووطن عاجز عن إيجاد حلول لهذه المشكلات، فيستحيل سجناً كبيراً، كل ما يحويه عبارة عن سجون صغيرة، من السجن المركزي والسياسي إلى البيوت العائلية، فبيوت الطالبات والأماكن العامة التي ما زالت تفتقر إلى الاختلاط بين الجنسين... تقف الكاتبة وبصوت صريح، أمام سلطة الرجل، وما تحمله شخصيته الذكورية من عقد يحاول تنفيسها بالمرأة، وعبر نموذج طارق المتزوج أربع مرات في النص، هو خليط من شخصيات وأوصاف عدة، يوظّف كل ما يمكن، عن اقتناع أو التفاف على اقتناعاته، من أجل إثبات قدرته الذكرية وفحولته الجنسية، فمن متدّين وخطيب مسجد، إلى جاعلٍ بيته ساحة رقص لزوجته، إلى من يغضّ النظر عن تحرّش صديقه بها أحياناً... ما يجعل المرأة وحيدة ليس من يستميت في الذود عنها وعن شرفها إلا بقتلها غسلاً للعار أمام الناس حين تصبح عبئاً على الأهل والزوج والإخوة...

هذه هي أبرز القضايا التي تتناولها الكاتبة وتحاول أن تبلور رؤيتها من خلالها، موظّفة التقنيات الروائية كلها، من زمان ومكان وشخصيات وحوارات وراوٍ وأصوات سردية داخلية، فتضافرت هذه التقنيات لتشيّد الكاتبة عالماً روائياً ذا صلصال خاص يشكّل معادلاً موضوعياً للعالم الخارجي والمرجعي...وتمكنت بنسبة لا بأس بها من ذلك، لكن اللافت أن الموضوع لم يقدّم شيئاً جديداً، سوى أنه عرّفنا إلى بطلات بأسماء جديدة، ولم تقم الكاتبة إلا باستعراض للواقع، وكأننا أمام فيلم وثائقي لا يستطيع معدّه أن يتدخل في تغيير مشاهده الحقيقية، واختُزلت الرواية برؤية شبه مؤكّدة، وهي التحريض على حماية المرأة نفسها بنفسها عبر الاعتماد على مسؤولين ومدعومين وذوي نفوذ في الدولة والمجتمع... وعلى الرغم من الحرية التي تبحث عنها الكاتبة للمرأة في هذا المجتمع، نراها تقع في منزلق انعدام الحرية وعدم منحها لبطلاتها بشكل مطلق وكأنهن كنّ قاصرات لا معرفة لديهن ولا قدرة على التعبير، فنراها تقيّد حركات الشخصيات، خصوصاً النساء والفتيات اللواتي غصت الرواية بمشكلاتهن، وترسم منذ البداية صوراً لا تستطيع الشخصية تجاوزوها عبر نمو الأحداث، فقد اعتمدت نمط الراوي العليم الكلي المعرفة، وإن حاولت إعطاء بعض شخوص النص حرية الحكي والسرد والتبئير أحياناً، لكنها ظلت صاحبة اليد الطولى في السرد والحكي والتبئير الأساس على طول العمل، قاطعة كلام الأبطال أحياناً، معلّقة بطريقة فيها الكثير من الهيمنة، حارمة المتلقي لذّة اكتشاف المصائر بنفسه، نظراً إلى تدخلها غير المناسب والجائز أحياناً كثيرة، وعبر استخدامها ضمير المتكلم والتوجه بضمير المخاطب إما إلى إحدى شخصيات النص أو إلى المتلقي مباشرة. فما بطلة أخرى كقولها: «إن رجاء تقول: حيث المهن الأشد إيذاء لأصحابها، هناك وربما هنالك فقط توجد الأخلاق. شكراً لحكمتك يا رجاء، لكن من دون هذا التحديد، امسحي كلمة فقط، مسحناها. لا يزال الوقت باكراً على موعدها» (ص218). وهكذا كشفت لنا براءة (عائشة) من ممارسة الدعارة بتدخلها غير المسوّغ ولم تترك لنا مجالاً للتشويق ولمعرفة هذه البراءة بأنفسنا. (ص 370)

وهذا النمط للراوي الخارجي العليم، حرم النص من اختلاف وجهات النظر التي تدفع القارئ إلى القراءة غير مرة، فقد جنت الكاتبة على عملها إذ أتخمته بالمواعظ والرؤى الخاصة بها، حتى استحال كتلة وعظية ثقيلة على المتلقي الذي قد يشعر بالدونية أمام تلك المواعظ الجاهزة والتدخلات وأمام حرمانه من لذة اكتشاف المصير بنفسه، أو الانتصار لوجهة نظر قد تكون مختلفة عن وجهة نظر الكاتبة، وكان هذا ممكناً لو أن الكاتبة تركت شخصياتها تحكي وتسرد وتبئّر وتطلق رؤى مختلفة وبحرية أكثر من دون تدخلات أثقلت النص وحمّلته عبئاً كبيراً.

شريف تغيان

الشيخ الرئيس رجب طيب أردوغان

«لا أعلم لماذا تكتب (أردوغان) مع أن التركية ليس بها حرف الغين ! كما أن الحرف الذي يظنه البعض جيم لا ينطق جيم مطلقاً في التركية!).

دفقة أخرى من الأمل في مستقبل أفضل بإذن الله، ومن المتعة بالتعرف على بطل طالما حلم بظهوره عالمنا العربي، وأصبح رجب طيب أردوغان –أو أردوان– أحد أبطال زماننا القلائل .

يقول شريف تغيان عن رئيس وزراء تركيا أنه استطاع دون أن يطلق رصاصة واحدة أو يقوم بانقلاب أن يطيح بصنم أتاتورك، و ينال من مؤسسة الجيش التركي الحارس الأمين والمدافع الأول عن مذهبه العلماني المجلل بالقداسة !!

ينقسم الكتاب إلى سبعة أبواب :

الباب الأول: النشأة و الصعود :

ويروي فيه البداية في يوم 26 فبراير 1954 و هو يوم مولد أردوغان، و قد ولد في حي شعبي فقير بالجزء الأوروبي من اسطنبول، كان والده يعمل في سلاح خفر السواحل التركي، و رباه هو وباقي إخوته الأربعة تربية إسلامية ملتزمة، و أبدى الصبي من صغره ذكاء و قوة في المنطق ووضوحاً في الرؤية جعلت أحد أساتذته يطلق عليه لقب: الشيخ رجب .

يحكي الكاتب موقفاً حدث لرجب في الابتدائي عندما سأل مدرس التربية الدينية عن من يستطيع أن يرى زملائه في الفصل كيفية الصلاة، ورفع رجب يده، فقام المدرس ليفرش صحيفة على الأرض للطالب، فما كان منه إلا أن رفض الصلاة على الصحيفة لما عليها من صور لنساء سافرات ! خلال فترات تعليمه المختلفة كان أردوغان يساعد أباه في مصاريف دراسته فكان يبيع شراب الليمون والبطيخ بشوارع اسطنبول .

يرى الكاتب أن تجربة أردوغان في رئاسة بلدية آسطنبول هي بدايته الحقيقية في إثبات قدرته على أنه رجل اقتصاد و سياسة ملهم ومبدع نجح على مدار أربع سنوات (1994-1998) في انتشال المدينة من الإفلاس وحل الكثير من مشكلاتها مثل

انقطاع المياه والكهرباء وتفشي القذارة، وعندما سألوا أردوغان عن نجاحه في تخليص البلدية من ديونها قال: لدينا سلاح أنتم لا تعرفونه .. أنه الإيمان ولدينا الأخلاق الإسلامية وأسوة رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام، لكن نجاحه المبهر لم يشفع له عند القوى العلمانية التي أتهمته بإثارة المشاعر الدينية لدى الشعب عندما تلى بعض أبيات الشاعر التركي ضياء أوك ألب : «مساجدنا ثكناتنا .. قبابنا خوذاتنا.. مآذننا حرابنا .. والمصلون جنودنا... هذا الجيش المقدس يحرس ديننا».

فكان مصيره السجن 10 شهور والحرمان من ممارسة أي نشاط سياسي !

الباب الثاني: سياسة مؤذن اسطنبول :

يمكن اختصار سياسة أردوغان فيما كتبته مجلة الإيكونوميست، بأنها سياسة توصلت إلى حالة «صفر مشاكل» مع جميع دول الجوار بما فيها طبعا اليونان، و إيران، والعراق ، ثم تأتي معركته الكبرى وهي الاقتصاد التركي المهترئ الذي استطاعت حكومة العدالة والتنمية في سبع سنوات تخفيض نسبة التضخم من 70 % إلى 10 %، وارتفاع متوسط دخل الفرد من 3000 دولار إلى ما يقارب 10000 دولار فارتفع مرتبة الاقتصاد التركي ليحتل المكانة 16 على مستوى العالم والسادسة على مستوى أوروبا .

كان دوره الكبير في حل المشكلة الكردية التي كانت سبباً في مقتل عشرات الآلاف في الثمانينات ... فما كان منه إلا أن أضعف النهج الأمني في التعامل مع القضية وإفساح المجال أمام العمل السياسي ليأخذ حيزاً أوسع بعيداً عن تأثير الجيش .

الباب الثالث: تحطيم الصنم :

يتناول الكاتب في هذا الباب كيف استطاع أردوغان تقليم أظافر العسكر داخل تركيا، وإعادة الإسلام التركي شيئاً فشيئاً دون عنف وإنما بالقانون، حيث دأبت حكومة أردوغان على إجراء تعديلات دستورية وصلت إلى وضع تصرفات الجيش المختلفة تحت رقابة ومحاسبة البرلمان والأجهزة الدستورية .

استطاع حزب العدالة والتنمية إعادة الهوية الإسلامية لتركيا بسياسته التي تجمع بين احترام علمانية الدولة التركية والتزام الليبرالية الاقتصادية وديناميات السوق الحرة الدافعة بتركيا نحو اندماج غير مشروط في زمانية العولمة من جهة و رؤى اجتماعية وثقافية وأخلاقية محافظة تعود في الأساس إلى مرجعية الحزب الإسلامية من جهة أخرى .

الباب الرابع: الثورة الأردوغانية :

يتناول فيه الكاتب بشكل أكثر تفصيلاً ما فعله أردوغان وحكومته من انقلاب دستوري .

الباب الخامس: من الحلم الأوروبي إلى الواقع الإسلامي :

تناول السياسة الخارجية التركية وكيف أصبحت تركيا داعمة للحقوق العربية، ثم الامتداد التركي إلى قارات العالم كافة .

الباب السادس: من الشراكة إلى الصدام :

يتناول الكاتب بكثير من التفاصيل العلاقات التركية الأمريكية في ظل حكم حزب العدالة والتنمية ثم العلاقات التركية الإسرائيلية حتى مأساة قافلة الحرية التي توجهت إلى غزة في مايو 2010 .

الباب السابع: وثائق وصور :

جمع فيه الكاتب مجموعة من أهم خطب أردوغان وصوره في مختلف المناسبات .

هو كتاب شديد الثراء في معلوماته التفصيلية عن الكيفية التي أصبح بها رجب طيب أردوغان بطلاً قومياً ليس بتركيا فقط بل للعالم العربي، وربما الإسلامي كذلك ... ليس بالقوة ولا بالسحر ولا بالثورية الفارغة ! .

أتصور أن شعوب الربيع العربي بشكل عام والمصريون بشكل خاص يهمهم قراءة مثل هذه التجارب الناجحة التي تثبت أنه لا مستحيل على من لديه رؤية و إرادة، هذا الكتاب أكد على حقيقة هامة .. إن هناك فرق كبير بين أن تثبت وجودك وأن تثبت نجاحك ... فالثانية تحتاج إلى قدر أكبر بكثير من الحكمة وطول النظر وآثارها أعمق .. بعكس الأولى، كما أن الثانية لابد و أن تؤدي إلى الأولى .. و لكن العكس غير صحيح .

الكتاب صادر عن دار الكتاب العربي في 335 صفحة من القطع الكبير .

عزمي بشارة

أن تكون عربياً في أيامنا

(أن تكون عربياً في أيامنا)

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أقسام (قضايا عربية، المتغيرات الأمريكية في نهاية مرحلة بوش، فلسطين والقضية الفلسطينية). وقد توزعت عليها مجموعة دراسات ومحاضرات قدّمها الباحث من منتصف عام 2007 وحتى بداية عام 2009. من أبحاث ودراسات ومحاضرات تناولت القضايا العربية والمتغيرات التي رافقت نهاية فترة جورج دبليو بوش الرئاسية وقضية فلسطين. يطرح الكتاب نظرة عزمي بشارة في ضرورة الاعتراف بحق الأمة العربية في تقرير مصيرها وفرض سيادتها عبر الديمقراطية والمواطنة المتساوية.

ما يميّز هذه الدراسات والمحاضرات؛

أولاً: براعة الباحث في ربط مسألة النهضة بالهوية العربية والحداثة، وربط مصير القومية العربية بمدى قدرتها على تقبّل مهمات وتحديات المجتمع الحديث والعصر الحديث، ومواجهة هذه التحديات بمشروع. كما يربط بين مهمة تجديد الفكر العربي بمشروع بناء الأمة، وتحديد مطالب وبرامج في هذا الاتجاه تكون مفهومة للناس، ويمكن للناس ربطها بمصالحهم المادية والحقوقية كمواطنين.

ثانياً: ما تحمله فصول الكتاب من بعد فكري جديد، وأسلوب تشخيصي تحليلي، إضافة إلى ما تجلى فيها من نبض حيوي يشير إلى ضرورة تجديد الفكر، إن كان ذلك في القضية العربية عموماً، أو القضية الفلسطينية.

السفر عبر الزمن بين الخرافة والخيال العلمي

نسمع كثيراً عن آلة الزمن Time Machine في الأفلام ذات الخيال العلمي أو رواية Wells' novel البريطاني البداية الحقيقية لقصص العبور إلى الأزمنة وتخطي مئات و ألوف السنين سواء بالعبور نحو المستقبل أو الماضي برغم إن علماء الفيزياء يسخرون من فكرة العبور نحو الزمن إلى عصور سابقة معتبرين ذلك ضرباً من الخيال أو الشعوذة . في هذه المقالة المترجمة يتناول العالم الفيزيائي الياباني-الأمريكي ميشيو كاكو فكر السفر عبر الزمن وإمكانية تحقيقيها علمياً.

وجهات نظر في الغوص عبر الزمن

ومع ذلك لم نشهد تقدم ملحوظ في نظرية الجاذبية الكمية، بل أصبحت الآن لعبة متداولة لعلماء الفيزياء بين النظرية والتطبيقات حيث تفسر النظرية العلة بين الحدث الأول والأخير، فمثلا شاب يريد إن يغوص في الماضي مع أنه لا توجد لدية إحداث حتى يشارك بها كونه لم يولد بعد ! والحال يختلف في الغوص في المستقبل حيث الكينونة أصبحت موجودة ولكن لا يمكن تخيل التطورات في المستقبل. ويعتقد Newton أن الوقت مثل السهم يطبق مرة واحدة بخط مستقيم ولا يعود إلى الوراء. كما أن Einstein يقول إن الزمن على الأرض لا يساوي الزمن على كوكب أخر مثل المريخ ويعلل ذلك بأن حركة دوران الكواكب تختلف من كوكب لأخر وحصل Einstein على جائزة Princeton. Kurt Goedel في قدرته على عبور الزمن بحوالي 500 سنه ماضية وشبه الزمن كالنهر يسير و أحياناً توجد فيه دوامات تعود للوراء من نقطة الانطلاق ويقول Einstein أنه شعر بالانزعاج لأن معادلاته سمحت له بالسفر عبر الزمن، ومن المعادلات التي قدمها Einstein فسر العلماء نظرية الانفجار الكبير للكون وعودة الانفجار إلى التقزم مرة أخرى، ثم في عام 1963 وجدت روي كير وهي عالمة رياضيات نيوزيلندية حل لمعادلات أينشتاين للثقب الأسود بالتناوب، والذي كانت مملوءة بالخصائص الغريبة فالثقب الأسود لن ينهار إلى نقطة البداية (كما كان يعتقد في السابق) ولكن في حلقة الغزل (النيوترونات) سيظل يدور إلى ما لانهاية .

السباحة الآنية بين زمنيين ومكانيين في آن واحد

ليس الفارق المكاني بين مساحة الثقوب السوداء يقاس بالمكان ولكن الفارق زمني أيضاً ويمكن استخدام آلات الوقت لقياس الفارق الآني بين مكانين وزمنين، ومثال أخر بتطبيق نظرية الكم quantum theory يوجد الإلكترون في وقت واحد على مدارات مختلفة حول نواتين لعنصرين (وهي الحقيقة التي بنيت عليها قوانين الكيمياء. (وعودة إلى قصص الخيال تطرح قطة Schrodinger الشهيرة التي توجد في وقت واحد حالتين بين الحياة والموت و لربما نحن نعيش بين عالمين موازيين لبعضهما أن المقتنعين بالة الزمن يقولون إن وجودها يتطلب طاقة هائلة أو العثور على الطاقة العكسية negative energy والتي ستسير عكس الانفجار العظيم للكون ،وعودة إلى الثقوب السوداء ومنها Kerr black hole الذي يعتبر أن الثقوب السوداء غير المستقرة والذي يفسر اضطرابه بنظرية "theory of everything" والتي تجمع بين قوي الكم وقوة الجاذبية ونظرية superstring theory التي تحاول فصل العاملين السابقين بطريقة تنسق بين أدائهما وهي محدد جيد إلى ألان للبحث عن نظرية بديلة نستطيع فيها تصور الإحداث السابقة للكون عموماً.

تجدد الدعوات للسفر عبر الزمن

ومن المثير للاهتمام، دعوة ستيفن هوكينغ مرة أخري لفكرة السفر عبر الزمن من خلال البحوث الأخيرة التي قام بها علماء الفيزياء في مجال النظرية الكمية وخلال خمسة أعوام فقد راقب فريق علمي كومة من مملكة النمل بواسطة كاميرا ولاحظ المسارات التي تسير عليها النمل وقاموا باسترجاع المقاطع إلى الوراء وتخيل المسارات المفترضة لسير النمل وطرح افترض السير الممكن وبتطبيق النموذج السابق في حياتنا للسفر عبر الزمن للماضي والعبور للمستقبل.

قراءة في الكون المجهول...جواز سفر للمجهول

فكرة السفر بين النجوم عند مناقشة إمكانية السفر بين النجوم، لا يوجد شيء يسمى "the giggle factor" ويقول بعض العلماء يميلون إلى الاستخفاف بفكرة السفر بين النجوم بسبب المسافات الهائلة التي تفصل بين النجوم. وطبقاً لنظرية النسبية المطبقة منذ 1905 والتي تقيس المسافة بين بالسنة الضوئية، حتى النجوم المألوفة نراها في على مسافات ما يقرب من 50 إلى 100 سنة ضوئية عنا، ومجرتنا هو 100.000 سنة ضوئية و المجرة الأقرب منا تبعد 2 مليون سنة ضوئية ويقول علماء الفيزياء والفلك إن 99% من الكون لم نتمكن من معرفته وان النجوم والكواكب والشهب والنيازك والثقوب السوداء وغيرها تمثل 1% من معرفة الإنسان حالياً للكون وهذا الجهل الكبير يجعلنا في بداية السلم ففي درب اللبانة (مجرتنا) هناك ما يزيد على 100 بليون نجم، وهناك عدد لا يحصى من المجرات في الكون على الرغم من أن أكثر من 100 كوكب شمسي اكتشفت حتى ألان في الفضاء السحيق تشبه كوكبنا فإنه أمر لا مفر منه، يعتقد الكثير من العلماء، أن يوماً واحداً سوف نكتشف كواكب شبيهة بالأرض مغطاة بالماء السائل وأن DNA السجل الذي يؤرخ حياه الإنسان في السفر قبل 3.5 مليار سنة في المحيطات التي غمرت الأرض من خلال مفهوم "universal solvent" قد نستطيع من خلاله معرفة المزيد التي تساعد على اختراع آلة الزمن .